

الكتابة التاريخية فجا العصر الهلنستي^(*)

د. مفيد رائف العابد

كان من الطبيعي بعد غزو الشرق، واكتساب العالم المعروف وقتئذ الصفة العالمية التي دعا إليها الاسكندر مع بدايات العصر الهلنستي، أن تتزايد معارف العصر بنتيجة عوامل عدة، أهمها: الاحتكاك بين علماء الشرق والغرب، وتحسن وسائل المواصلات، وانتشار نوع مشترك من الحضارة قوامه استعمال لغة واحدة في منطقة كبيرة من العالم المتمدن وقتذاك، وبروز مراكز علمية جديدة في الاسكندرية وانطاكية ورودوس وبرغامه وبابل وغيرها، إضافة الى المراكز القديمة مثل أثينا.

ومثله في هذا مثل باقي العلوم، تقدمت معارف التاريخ واغتنت، وتنوعت مدراسه وتشعبت فروعه. ولأول مرة في تاريخه تزايد الاهتمام به بشكل واسع وملحوظ، وتبوأ منزلة رفيعة بين العلوم^(١). وذلك فيما يبدو من أجل الرغبة في تصحيح التواريخ المشتركة بين الشرق والغرب، وبخاصة في مجال إلقاء تبعات الحروب المتبادلة أو بالأحرى تغليب وجهة نظر على أخرى، إضافة الى الرغبة في إبراز دوافع أو تبرير الغزو الذي أسفر عن خضوع آسيا الغربية والقسم المعروف من القارة الإفريقية (مصر وليبيا) للمقدونيين، وبدء تاريخ جديد للمنطقة برعاية

(*) يعتمد المؤرخون المحدثون تحديداً زمنياً للعصر الهلنستي (Hellenistic) (أو الهلنسي حسبما يعربه البعض) يتراوح في الفترة ما بين (٣٢٣ ق.م) تاريخ وفاة الاسكندر، و(٣١ ق.م) تاريخ قيام الامبراطورية الرومانية على يد أوغسطس، رغم أن هذين التاريخين لا يمثلان في كثير من النواحي أي فاصل حقيقي بين عهدين. في حين يمكن تحديد المناطق التي دانت بالحضارة الهلنستية بالمناطق التي غزاها الاسكندر أو خضعت له وآلت الى قواده بعد موته، وهي: القسم الأكبر من الهضبة الإيرانية، ما بين النهرين، سورية الكبرى، مصر، ليبيا، آسية الصغرى، وبلاد اليونان.

ممثلين جدد . كل هذا فيما يحتمل وأسباب أخرى ليست واضحة الآن دفعت أعداداً من مثقفي العصر الهلنستي الى احتراف التأريخ، وبالتالي الى تكديس في مصنفات ذلك العصر التاريخية^(٢)، تفاوتت قيمتها بين الغث والسمين . ويبدو انه رغم ذلك لم يستطع حتى بعض هذا الانتاج الهائل أن يصمد أمام عوادي الزمن، فانقرض بانقراض صانعيه، ولم تسلم منه إلا شذرات المعلومات الجزئية التي وصلتنا عن طريق المصنفات الرومانية المتأخرة . ولعلّ مما يلفت النظر فعلاً، فيما يتعلّق بكتابات العصر التاريخية، أن القدرة السياسية لأكبر امبراطوريتين معاصرتين (ونقصد السلوقية في سورية وغرب آسية، والبطلمية في مصر وليبيا) لم تتوافق إطلاقاً مع قدرتها على رعاية مؤرخ متميّز طوال قرون ثلاثة إذا ما قورنت هذه القدرة بقدرات هاليكارناسوس وأثينا من قبل اللتين أنجبنا على التوالي (هردوت) (اكسنوفون) (وثوكوديدس) أشهر مؤرخي القرنين الخامس والرابع ق م .

ويعتبر بطليموس^(٣) (Ptolemy) بن لاجوس أول مشاهير العصر الهلنستي من المؤرخين الذين كتبوا في الفترة ما بين (٢٨٨ - ٢٨٣)^(٤) سيرة حياة الاسكندر معتمداً، أولاً على الجريدة الرسمية لحملة الاسكندر، وثانياً على مذكراته الخاصة، باعتباره أحد القادة المقربين الى قائد الحملة؛ وثالثاً على وثائق رسمية أخرى . ويختلف بطليموس عن غيره من كتّاب سيرة الاسكندر ممن عاصروا القائد شخصياً، في أنه كان يكتب بعين عسكري خبير بالخلفيات السياسية للقرارات العسكرية التي كان يصدرها الاسكندر . وفي حين تتفق صيغة كتاباته (مع الإشارة الى الفرق في الكم) مع كتابات القائد البحري نيارخوس^(٥) (Nearchos) في كونه قائداً وصديقاً شخصياً للاسكندر، يختلف عنه مؤرخان لا تقل كتاباتها أهمية عن كتابات بطليموس . أولهما مؤرخ الحملة أريستوبولوس (Aristobulos) من كاساندرية، الذي كتب في الفترة ما بين (٢٩٤ - ٢٨٨) تاريخاً يتبين منه أن كاتبه كان واعياً للأمر ومتزناً في أحكامه عرف الكثير عن الإسكندر، وأن كتاباته تضمّنت معلومات جغرافية وطبيعية ممتازة، إضافة الى معلومات عسكرية أقل امتيازاً . وثانيها أريانوس (Arrian) الذي اعتمد في كتابه « حملات الاسكندر » (Anabasis of Alexander) على أريستوبولوس و بطليموس، في حين اعتمد على نيارخوس ومجاستنس^(٦) (Megasthenes)، في كتابه الثاني عن الهند (Indike)، واعتبر في كتابه خير ممثل لمجموع المؤرخين السابقين^(٧) .

وقد خلف عدد آخر من مرافقي ومعاصري الاسكندر كتابات لا ترقى الى مستوى الكتابات السابقة، مع إمكانية الاعتماد عليها بدرجة أقل، تأتي في مقدمتها كتابات كاليستنس (Kallisthenes)^(٨)، التي دمجها أثناء حياة الاسكندر (حوالي ٣٣٠)، وامتلاّت بنوع من العروض شبه التاريخية تعتبر مثلاً يحتمل لكل الراغبين في التملّق على مر العصور . يليه في أهمية كتاباته خارس (Chares) مسؤول المراسم في بلاط الاسكندر، وافيبوس (Ephippus)^(٩) اللذان امتلاّت كتاباتها بروايات وقصص، ولا وزن لها من الناحيتين الواقعية والتاريخية، وإن

شابهت في كثير من مواضعها كتاب اكسنوفون (Xenophon) تربية قورش (Cyropaedia) عن تربية الحاكم المثالي .

ومع ظهور مدرستي المشائين (Peripatetic) والرواقين (Stoic) اللتين تناولتا الوجه الآخر لتاريخ الاسكندر، أقدم كاتب من الاسكندرية يدعى كليتارخوس (Kleitarchos) على كتابة تاريخ لفترة الاسكندر في عهد بطليموس الثاني، وصلتنا شذرات عنها في الجزء السابع عشر من تاريخ ديودوروس الصقلي (Diodorus)، والتي صوّر فيها الاسكندر في صورة تختلف عما ألفناه في كتابات من سبقه . ومن خلال هذه الشذرات ادعى كليتارخوس أنه اعتمد على كتابات اريستوبولوس (التي، إن صدق زعمه فإنه اختصرها لدرجة الإخلال بمعناها العام)، وعلى الكثير من القصص التي رواها صغار الشعراء ممن رافقوا الاسكندر . في حين توحى اشاراته بمدى تأثيره بالشائعات التي كان يرددها مجتمع الاسكندرية في زمنه، وكذلك بخصب خياله الذي تشرب هذه الشائعات، وساعد على تقديم الاسكندر بصورة مجرحة عند عدد من المؤرخين اللاحقين^(١٠)، أشهرهم ديودوروس، وروفوس كورتوس^(١١) (R. Q. Curtius) . هذه الصورة التي لم تلق استحساناً عاماً في فترة كتابتها، وإن كانت نفسها قد استهوت عدداً كبيراً من القراء الرومان فيما بعد^(١٢) .

وفي الفترة نفسها أو بالأحرى حوالي عام (٢٦٤)، كان تيمايوس (Timaeos) من تاورومينوم في صقلية قد أتم في أثينا موسوعته الخاصة بتاريخ إغريق غربي البحر المتوسط حتى ذلك العام . وقد تمتع هذا المؤلف ولا يزال بسمة طيبة، بنيت على قناعة معاصريه ومعاصرينا بالمعينة واجتهاده وجهوده في سبيل جمع المعلومات والشواهد . وإن كان يعاب عليه حديثاً أنه لم يفرّق في بعض مواضع كتابته بين الواقع والاسطورة، أو بين الحقيقة والحقيقة النسبية . وعندما أدلى احد ساسة العصر نفسه بدلوه في مجال الكتابة التاريخية، وهو دوريس^(١٣) (Duris)، ابتدع بدعة هدف منها تقريب الفترة التاريخية التي كتب عنها من القراء أو تشويقهم، وذلك عن طريق صياغتها صياغة مسرحية، أي تقديم دوافع الحدث التاريخي على السنة أبطاله، وهي الطريقة التي ابتكرها ثوكوديدس في تاريخ حرب البلوونيز (٤٣١ - ٤٠٤) . ومن حسن حظ التاريخ أن تاريخه لم يمتد لأكثر من قرن من الزمن تضمن الفترة ما بين معركة ليوكترا (Leuktra)^(١٤) وعام (٢٨٠) .

وفي أكثر من مدينة في العالم الاغريقي ظهرت في الفترة نفسها مجموعة من الكتابات التاريخية - وصلنا بعضها في كتابات المؤرخين المتأخرين وضاع بعضها الآخر - أقدم على كتابتها مؤرخون تراوحت أهميتهم أو بالأحرى أهمية كتاباتهم بين الجودة على المستوى المحلي، والتوسط على المستوى العالمي . أشهرها كتابات نومفيس (Nymphis) من هرقلية على البحر الأسود حوالي عام (٢٨٠) عن خلفاء الاسكندر أو الديادوخي (Diadochi)، وهي التي ضاعت بكاملها في حين عثر على تاريخ هرقلين للمؤلف نفسه في مؤلفات ممنون^(١٥)

(Memnon). وكذلك كتابات ديولوس (Diyllos) من أثينا عن الفترة من الحرب المقدسة^(١٦)، حتى موت كاساندر^(١٧) (Kassander). وهي كتابات تأثر بها ونقل عنها ديودوروس الصقلي^(١٨)، وبخاصة في مجال العطف على كاساندر^(١٩). يضاف إليها كتابات دميتريوس الفاليريومي (Demetrios of Phalerum) عن فترة حكمه أثينا^(٢٠) باسم كاساندر^(٢١). وكذلك كتابات دموخارس^(٢٢) (Demochares) (٣٦٠ - ٢٧٥) عن تاريخ أثينا وعلاقتها مع مقدونية في عهد كاساندر^(٢٣)، وكتابات دميتريوس البيزنطي عن غزو الغال (آسية الصغرى) في عهد انطيوخس الأول (٢٨٠ - ٢٦١)، وكتابات بروكسنوس (Proxenos) حول تاريخ منطقة ابيروس^(٢٤) (Epiros) في عهد الملك بوروس (Pyrrhos) (٣١٩ - ٢٧٢). وكان بوروس بدوره قد دَوّن مذكرات تاريخية هي أقرب ما تكون الى الجريدة الرسمية^(٢٥).

على أن أفضل ما ألف من كتب تاريخية بعد موت الاسكندر، بل لعله أعظم ما أنتجته العبقريّة التاريخية الاغريقية عن هذه الفترة ما كتبه هيرنوموس (Hieronymos) من مقاطعة كارديه. وكان هذا المؤرخ صديقاً (أو قريباً) للقائد يومنس^(٢٦) (Eumenes). وعمل بعد ذلك في حاشية القائد انتيجونوس^(٢٧)، ثم ابنه دوميتريوس وابنه جوناتاس. ويعرف من شذرات المعلومات عن هذا الكتاب انه يتضمن تاريخاً للفترة من وفاة الاسكندر حتى وفاة الملك بوروس، وأنه المصدر الرئيسي للفصل الثامن عشر وما تلاه مما كتبه ديودوروس في تاريخه العالمي، وكذلك فيما كتبه اريانوس عن خلفاء الاسكندر، وفيما كتبه بلوتارخوس عن حياقي يومنس ودميتريوس في كتابه الاشهر (الحيات)^(٢٨).

وتشير دراسة آثار هذا المؤرخ فيما خلفه لنا من نقلوا عنه، أنه كان مؤرخاً مقتدراً سار على طريقة ثوكوديدس في التأريخ بسنوات الحملات العسكرية، وكان دقيقاً الى حد كبير في إعطاء أرقام تاريخه، ويبدو أن مرد ذلك إلى أنه كان يشارك في صنع الأحداث بدافع قرابته من ذوي السلطان وقتئذ. كما يبدو أن جفاف أسلوبه في الكتابة الذي جاء نتيجة دقته التاريخية أو واقعية تأريخه، جعلت كتابته غير مستساغة على المستوى الشعبي مما أدى الى تراجع ذكره وكتابته بعد فترة وجيزة من وفاته^(٢٩).

ويصنّف فولارخوس (Phylarchos)، الافضل بين المؤرخين الذين غطوا الفترة بين هيرنوموس وبولوبيوس (Polybios)، ويعتبر بشكل غير مباشر تلميذاً للمؤرخ دوريس، سواء في الطريقة المسرحية في تقديم شخصيات الحدث التاريخي أم في مجال التسلسل الزمني للعمل، حيث يبدأ فولارخوس مع عام (٢٨٠) وهو تاريخ انتهاء دوريس، وحتى وفاة كليومنس (Kleomenes) الثالث ملك اسبرطة (٢٦٠ - ٢١٩). ورغم ما يؤخذ على أسلوبه الأدبي، فإن معظم مؤرخينا المعاصرين يثقون بكتاباته وبمعلوماته، بل يفضلونها على معلومات بولوبيوس، وبخاصة في حال اختلافهما في تقديم حدث تاريخي^(٣٠).

وتعتبر مذكرات الزعيم السيكيوني أراتوس (Aratos of Sicyon) (٢٧١ - ٢١٣)، أفضل ما خلفه لنا العصر الهلنستي عن الحلف الآخي^(٢٨)، رغم كل ما يمكن أن يقال عن طابع السيرة الذاتية الذي طغى على المذكرات. فقد ساعد تبنؤ أراتوس منصب قائد الحلف على إمدادنا بمعلومات لم تكن لتتوافر لمؤرخ غيره. ومع أن عدداً من المؤرخين المعاصرين لا يرون في أراتوس مؤرخاً عادلاً، وبخاصة فيما يتعلق بمجديته عن خصومه، إلا أن تفردته بمعلومات قيّمة عن تاريخ الحلف لا يرقى إليه أدنى شك. يؤكد ذلك اعتماد بلوتارخوس عليه بشكل واضح، واعتبار بولوبويوس إياه المصدر الرئيسي لكتاباتهِ عن تلك الفترة^(٢٩). ولا شك أن ضياع تاريخ سوسولوس الاسبرطي (Sosylos of Lakedaemon) (أواخر القرن الثالث) عن هانيبال يعتبر خسارة كبرى فيما يتعلق بمعلوماتنا عن الحروب البونية الثانية. وكان هذا الرجل، وهو عتيق هانيبال، قد رافق القائد القرطاجي أثناء حملته على إيطاليا، كما أشار إلى ذلك في تاريخه^(٣٠).

والواقع، أن القرن الثاني لم يعرف مؤرخاً يفوق بولوبويوس الميغالي (Polybios of Megalapolis) - (٢٠٣ - ١٢٠) أهمية ومقدرة. وتذكر المصادر عن بولوبويوس أنه خلف تاريخاً للعالم المأهول استغرق الفترة (٢٢١ - ١٤٦)، في عدد من الكتب لم يبق منها إلا الخمسة الأولى. وقد مهد لتاريخه بحديث مقتضب عن تاريخ روما وبلاد الإغريق في الفترة ما بين (٢٦٤) - تاريخ توقف سلفه تيمارس - وبين (٢٢١)، بدء تاريخه. ومن تفحص كتابات بولوبويوس المتوافرة يمكن القول إن مؤرخنا كان كفؤاً إلى حد كبير، جمع بين النشاط والمقدرة، استخدم المصادر في تدوين تاريخه، وحاول تحليل دوافع بعض الأحداث. لكنه رغم ذلك وقع في بعض الهنات من التي كان يتوقع ألا يقع فيها مؤرخ متميز مثله. منها: أنه كان مغالياً - في أكثر من موضع في تاريخه - في الابتعاد عن استخدام الأساليب المشوقة في العروض التاريخية التي كانت سائدة وقتئذ، ولذا غدا تاريخه أقرب ما يكون إلى مجموعة من الأوامر الإدارية والعسكرية والكتب الرسمية. وفي بعض مواضعه كان يعيب عرضه التاريخي ميله إلى الإسهاب غير المبرر، وبخاصة في مجال التحليل والجدل الذي كان يورده في المتون، فيقطع على القارئ لذة تسلسل الأحداث ومحاولة فهمها.

ويبدو، مع معرفتنا أن بولوبويوس مارس العمل السياسي والدبلوماسي في بلاد اليونان ومصر وروما، ورافق حملة سكيبيو إيميليانوس إلى إسبانية (عام ١٥١)، فإنه لم يكن يفقه كثيراً في الشؤون العسكرية. ورغم أن صلاته الرسمية والشخصية كانت تمكنه من الاعتماد على المحفوظات الرسمية، وهذا ما يؤكد إirاده تفاصيل عدد من الأمور السياسية والإدارية الثانوية، فإنه أغفل، كليةً، التعرض لبعض الأمور التاريخية الهامة في عصره، مثل تقديم صورة لدستور الحلف الآخي الذي كان مسقط رأسه ميغالوبوليس عضواً فيه. ولعل من أشجع عيوب بولوبويوس، أنه لم يكن موضوعياً في كل ما يتعلق بمقدونية والمقدونيين، وأنه لم يكن ليخفي ميوله الرومانية

الواضحة. ولعل الاستثناء الوحيد موضوعيته في معاملة تاريخ هانيبال، وأنه لم يكن كذلك فيما يتعلق بقرباجة، ولعله مما يحير أخيراً في بولوبوس، أنه في الوقت الذي كان لا يتورع عن إطلاق الأحكام الأخلاقية على معظم حوادث تاريخه، كان يردد دوماً أن هدف التاريخ هو تحري الصدق^(٢١).

ومع كل هذه العيوب، فإن المعاصرين يؤكدون على الملية بولوبوس بين المؤرخين الاغريق وتميزه، لدرجة يذكر فيها أحدهم «قارن بين الظلام الذي ساد قبل بولوبوس والذي حصل بعده، وبين الفترة التي بددت فيها شمس سحب الظلام».

ويبدو أن المؤرخين المعاصرين لا يركزون، كما أسلفنا، على نقائص تاريخ بولوبوس انتقاصاً من قدره، بل لاعتقادهم أن مؤرخاً بهذه القدرة لا يجوز له أن يقع في مثل هذه السقطات^(٢٢).

وفي أفامية السورية، ظهر واحد من أبرز فلاسفة ومؤرخي العصر الهلنستي هو بوسيدونيوس (Posidonios) (١٣٥ - ٥٠/٥١)، لكنه لم يبق في مسقط رأسه طويلاً، إذ ارتحل بعد دراسته الفلسفة في أثينا إلى جزيرة رودوس، وفيها أقام طيلة حياته. وفيها على ما يبدو تابع كتابة تاريخ بولوبوس، وشابهه في تعاطفه مع الرومان، وتميز عنه بأسلوب شيق قوامه إيراد كثير من التفاصيل التي يسجلها عدد من المعاصرين لصالح أسلوبه ولكنهم يأخذونها عليه كمؤرخ، وبخاصة في مجال رواية عدد من الظواهر غير الطبيعية، والتي يُعتقد أنه تأثر فيها بنتيجة اهتماماته الفلسفية والميتافيزيقية. وكذلك في مجال عروضة غير المتعمقة لأسباب الحوادث التاريخية وأسباب مواقف بعض الأقوام من الحكومة الرومانية. وهذا ما تؤكد رواياته غير العادلة عن أصول الكلت (Celt) وأخلاقهم، وتأكيد على أهمية السبب المباشر وراء حادثة انضمام أثينا إلى الملك البونتي ميريدياس (Mithridates) السادس ضد روما واغفاله كافة الأسباب الأخرى^(٢٣).

ويعتبر عدد من المؤرخين (تاريخ العالم) لمؤلفه نيكولاوس الدمشقي (Nikolaos of Damascus) الذي كتبه في منتصف القرن الاول أفضل من مؤلف سابقه. وكان نيكولاوس فيلسوفاً وعالمًا طبيعياً ومؤرخاً مشهوراً عمل في بلاط هيرود الكبير (Herod the Great)^(٢٤)، ويعتقد أن اعتماد المؤرخ اليهودي «يوسف» على كتاباته بشكل كبير، شكل السبب الرئيسي في معرفتنا الكثير عن هيرود وحكمه، في الوقت الذي لا نعلم إلا القليل عن رجال أعظم منه قدراً بكثير^(٢٥).

وقد وصلتنا في مؤلفات الآخرين أسماء بعض المؤرخين وأسماء مؤلفاتهم، دون أن نعثر للكتابات نفسها على أثر؛ أشهر هؤلاء أغاثارخيدس (Agatharchides) من جزيرة كيندوس، وتماجنس (Timagenes) من الاسكندرية، وكذلك ابولودوروس (Apollodoros) من أرتميتا^(٢٦).

على أن أغزر كتاب العصر الهلنستي انتاجاً، ولو بشكل مجازي، ديودوروس (Diodoros) الصقلي (القرن الاول) صاحب الكتاب الأشهر « المكتبة التاريخية »، الذي لم يؤلفه ديودوروس، بل جمع فيه تواريخ كتبها غيره وامتدت في أربعين كتاباً منذ الحرب الطروادية حتى حرب قيصر الغالية (عام ٥٤). وتضمنت ما هو معروف أو مكتوب عن تواريخ مصر والرافدين والهند وسكوتية وبلاد العرب وشمال افريقية وبلاد الاغريق وأوروبا. ويجمع المعاصرون على أن ديودوروس لم يكن على مستوى العمل الذي تصدى له، رغم كل مزاعمه بقضاء ثلاثين عاماً في جمع تواريخه وقيامه برحلات متعددة في آسية وأوروبا لهذا الغرض، فقد تفاوتت قيمة كتابه بين الجودة والرداءة بحسب المؤرخ الذي كان يقوم بتلخيص عروضه. ولكنه برغم ذلك يكاد لا يرقى الشك حتى بين ناقديه إلى فضل كتاباته: « المكتبة التاريخية » أو « مكتبة التاريخ العالمي »، إذ لولاها لضاع أثر عدد كبير من كتب العصر الهلنستي التاريخية^(٢٧).

ورغم أن بعض المؤلفات السابقة تعرضت بحكم عمومية كتاباتها إلى بعض أحداث الشرق المحلية، إلا أنها اتصفت من هذه الناحية بسطحيتها وبُعدها عن الموضوعية. إذ قلَّ من الاغريق من كان يُعنى بدراسة تواريخ المشاركة دراسة جدية. ويبدو أن هذا إضافة إلى أسباب وطنية أو شخصية أخرى دفعت بعض من وجدوا في أنفسهم الكفاءة للقيام بكتابات تاريخية باللغات المحلية أو بلغة العصر الهلنستي الرسمية وهي الاغريقية. وعلى هذا قام الكاهن والفلكي البابلي بروصوص^(٢٨) (Berossos) (القرن الثالث) ومانيتون (Menethon) المصري (القرن الثالث)، بمحاولة لتقريب تاريخ بلادهم إلى القاريء الاغريقي. فكتب الأول تاريخ بابل (Babyloniaka) في ثلاثة مجلدات، تضمن الأول معلومات عن أجناس بين البشر حتى الطوفان، والثاني من الطوفان حتى الملك البابلي نابوناصر (Nabonassar) (عام ٧٤٧)، والثالث حتى موت الاسكندر (عام ٣٢٣). وأهدى المجلدات الثلاث إلى الملك انطيوخس الأول^(٢٩). في حين كتب مانيتون، وكان كبير كهنة هليوبوليس في عهدي البطليموسين الأولين تاريخاً لمصر (Aigyptiaka) من الفترة الاسطورية حتى (عام ٣٢٣). ويؤكد زعمه، بالاعتماد على القوائم الملكية، على الصفة الرسمية لتاريخه، في حين يشهد له بالبراعة تقسيمه التاريخ المصري القديم إلى فترات (قديمة وسيطة وحديثة) لم يستطع أي مؤرخ حتى الآن إحلال بديل عنها^(٣٠).

وتشير المصادر من الفترة نفسها إلى قيام بعض المؤرخين الاغريق بكتابة تواريخ للبلاد التي عاشوا فيها. من هؤلاء هكتايوس (Hekataeos) الابديري (أو من جزيرة تيوس) الذي كتب في عهد بطليموس الأول (٣٦٧/٦ - ٢٨٣/٢) عن مصر وتاريخها من وجهة نظر اغريقية^(٣١). وفي فترة لاحقة، كتب مؤرخ يدعى مناندر (Menander) الافسوسي مؤلفاً تضمن تواريخ بعض مدن الساحل السوري، وبخاصة (صور) الذي

اعتمد عليه المؤرخ اليهودي يوسف^(٤٢). كما احتفظ المدعو اسكندر بولوهيستور (Polyhistor) (القرن الأول) من ملطية (ميليتوس في آسية الصغرى) ببعض الأخبار عن دلفي وروما، وبخاصة الأخبار الغربية منها، وكذلك ببعض الدعايات التي كان يروج لها اليهود في خواتم العصر الهلنستي^(٤٣).

وفي مجال جمع المعلومات التاريخية من علم الآثار ومن النقوش، خلف لنا رائد هذا العلم وهو فيلوخوروس (Philochoros) الأثيني (القرن الثالث) مدونة من سبعة عشر جزءاً (ضاع آخر سبعة منها) دعيت (Atthis) ضمّنتها كثيراً من المعلومات المستقاة من النقوش الرسمية والدينية عن تاريخ أثينا السياسي والديني، وبخاصة في مجال تطور الدساتير والاعياد والمراسم^(٤٤). كما خلف مواطنه كراتروس (Krateros) (٣٢١ - ٢٥٥) مجموعة المراسم التي صدرت في أثينا خلال حياته مع تعليقاته الخاصة^(٤٥). على أن أبرز مؤرخي النقوش من العصر الهلنستي، الفيلسوف الرواقي والجغرافي بولون (Polemon) من إليوم (القرن الثاني) الذي، كما يذكر من نقلوا عنه وأخصهم باوسانياس^(٤٦) (Pausanias)، قضى شطراً من حياته جامعاً النقوش من عدد من المدن اليونانية أشهرها دلفي وأثينا واسبرطة، وكتب عن تاريخ هذه المدن من واقع هذه النقوش، مثلما كتب عن علم النقوش في عهده من خلال تجربته الخاصة^(٤٧). ورغم أن عدداً كبيراً ممن امتنوا التأريخ حاولوا تقليد أسفاره المدعوة (Periegesis) وطريقة تأريخه، إلا أن أعمالهم جاءت دون مستوى أعمال بولون.

ولم تقتصر الكتابة التاريخية في العصر الهلنستي على الأفراد بل تعدّتها إلى المدارس والجماعات. ويبدو أن نتائج العمل التاريخي الجماعي ليست دائماً حسنة، ففي الوقت الذي أنجز فيه أبرز أقطاب مدرسة المشائين (Peripatetic) وهو ثيوفراستوس (Theophrastos) (٣٧٢/٣٦٩ - ٢٨٨/٢٨٥) واحداً من أفضل وأسبق تواريخ الدراسات الطبيعية^(٤٨)، وأنجز آخر، هو دوريس^(٤٩)، كتاباً في تاريخ الفنون، وأنجز ثالث هو خامايليون^(٥٠) (Chamaeleon) كتاباً في تاريخ الشعر، وأنجز رابع هو ديكايارخوس^(٥١) (Dikaearchos) كتاباً في مخطوط ثيوفراستوس بعنوان الشخصيات (Characters)، تأثرت المدرسة بنظرية الحظ التي سادت فكر العصر الهلنستي، وكان لها أسوأ الأثر على كتاباتها التاريخية^(٥٢). ومن خلال هذا التأثير بدت الكتابة التاريخية لمدرسة المشائين أشبه بالأساطير، وهي نتيجة تحوّلت مع الزمن إلى رغبة الجميع في البحث العشوائي عن الأصول وتلفيقها في بعض الأحيان حتى ولو بدت على شكل الفضائح. على أن أبشع آثار هذه المدرسة تلك الحملة التي شنتها ضد الاسكندر وعائلته^(٥٣)، وحاولت إبرازه بتجنّج واضح في غير الصورة التي رسمها المؤرخون المعاصرون والسابقون.

وقد ساعد المشاؤون في حملتهم هذه، أنهم مالوا في كتاباتهم إلى السير والتراجم، وهو تخصص ساعد على ظهوره النزعة الفردية التي سادت القرن الثالث ويعتبر كليارخوس^(٥٤) (Klearchos) من سولي في قبرص أبرز

كتّابهم في هذا المجال، وبخاصة في كتابه « السير ». وكذلك ساتوروس^(٥٥) (Satyros) من كالايتس في آسية الصغرى الذي كتب بدوره سير بعض العظماء مثل فيليب الثاني وسوفوكلس ودموستنس وغيرهم. وقد عثر منها على ما يتعلّق بسيرة حياة المسرحي يوريبيدس التي كتبها على شكل محاوراة شيقة تضمّنت بعض المعلومات التاريخية عن يوريبيدس وعصره. وإذا بدا أن هناك استثناءً واحداً من بين كتّاب السير المشائين الذين برعوا في تجريح من كتبوا عنهم، فهو انتيغونس^(٥٦) (Antigonos) النحات من كاروستوس، الذي خصّص أحد أشهر كتبه للحديث عن سير فلاسفة القرن الثالث من مثل مؤلفات أثيناويوس وديوجنس اللائري عن حيوات الفلاسفة.

الحواشي

- (١) Bury. J.B, Ancient Greek Historians (1909) pp.171 ff; Cambridge Ancient History, vol VI, chs, XII, XIII, XV.
- (٢) Tarn. W.W, Hellenistic Civilization (1966) p. 281.
- (٣) هو نفسه بطليموس الاول مؤسس السلالة البطلمية التي حكمت مصر في العصر الهلنستي.
- (٤) جميع التواريخ الواردة في هذا البحث سابقة للميلاد ما لم ينوّه صراحة بغير ذلك.
- (٥) نيارخوس الكريتي، قائد اسطول الاسكندر الذي عاد بقسم من جيشه من الهند الى بابل بحراً. كتب قبل عام (٣١٢) وصفاً للهند على شكل تقويم، اعتمد عليه اريان واسترابون فيما بعد. انظر: Oxford Classical Dictionary. S.V. Nearchus. p. 600.
- (٦) إغريقي من أبوين، عمل سفيراً لسلوقس الاول في بلاط الملك الهندي تشاندرأغوبتا (Chandragupta) في الفترة ما بين (٣٠٢ - ٢٩١). خلّف لنا كتاباً عن الهند ضمّته معلومات جغرافية ودينية واجتماعية.
- (٧) Oxford Classical Dictionary. S.V. Arrian, p. 101.
- (٨) من اولونثوس (Olynthos) في شبه جزيرة خالكيديكى الى الجنوب الشرقي من مقدونية. وهو ابن أخت الفيلسوف أرسطو، ومن أبرز أصدقاء الاسكندر المدنيين المرافقين للحملة.
- (٩) من أولونثوس أيضاً، عاصر الاسكندر واتصف بعدائه الشديد لكل ما هو مقدوني.
- (١٠) Cf. Tarn. W, Alexander the Great (1951) vol 2. p. 265ff.
- (١١) بلاغي ومؤرخ كتب في القرن الأول الميلادي تاريخاً للاسكندر في عشرة أجزاء، وصلنا بعضها، ادعى فيها اعتماده على كليتارخوس وبطليموس واريستوبولوس، اتصف بطريقة عرض كلاسيكية واستخدامه لغة رفيعة المستوى. انظر: Oxford Classical Dictionary. S.V Rufus (5) p.782.
- (١٢) Tarn. W, Hellenistic Civilization, p.282.
- (١٣) طاغية جزيرة ساموس في البحر الايجي (٣٤٠ - ٢٦٠)، تتلمذ على يدي عالم الطبيعيات الأشهر ثيوفراستوس (Theophrastos)، بلاغي ومؤرخ كتب في الأدب والموسيقى. أشهر كتبه التاريخية عن: (مقدونية) (الهيلاس) (اجاتوكلس)، وصلنا كتبه عن طريق اثنايوس (القرن الثاني الميلادي)، وديوجنس اللائري (القرن الثالث الميلادي).

- (١٤) إحدى أشهر المعارك في تاريخ بلاد اليونان، التي انتصرت بنتيجتها مدينة طيبة على اسرطة (عام ٣٧١).
- (١٥) أحد المؤرخين المحليين، كتب في فترة ما بعد قيصر أو قبل هادريان، عن تاريخ مدينة هرقلية في ستة عشر كتاباً، تعتبر كتاباته ممثلاً للطرائق المحلية في التقويم الهلنستي. انظر:
- Oxford Classical Dictionary. S.V. Memnon 3 p. 556.
- (١٦) وهي الحرب التي نشبت بين مدينة (دلقي) ومينائها (كبرها) حول أحقية الميناء في جباية رسوم الحج، واستغرقت متقطعة الفترة ما بين القرنين السادس والرابع واشتركت فيها معظم دويلات بلاد اليونان.
- (١٧) ابن انتيباتروس، أحد قادة الاسكندر، حكم بلاد اليونان في الفترة ما بين (٣١٦ - ٢٩٧).
- Oxford Classical Dictionary. S.V. Diyllus, p. 293; Jacoby. F, Fragmente der griechischen Historiker, II. (١٨) 73; Muller. C, Fragmenta Historicorum, Graecorum, II. 360.
- (١٩) صديق كاسانديروس وأرخون أثينا، وأول حاكم فيلسوف في التاريخ.
- Jacoby. op cit, II, 79. (٢٠)
- (٢١) المقاطعة الشمالية الغربية من بلاد اليونان الحالية (ألبانيا المعاصرة الى حد كبير) تحالف ملوكها منذ عهد فيليب والد الاسكندر مع مقدونية.
- Tarn, Hellenistic Civilization. p. 283. (٢٢)
- (٢٣) (٣٦٢ - ٣١٦) أحد قادة الاسكندر ممن تنازعوا بعد موته، اتصفت مواقفه بالدفاع عن صوالح الاسرة المالكة ضد أطماع القادة الراغبين في تقسيم الامبراطورية. لم يؤسس مملكة مستقلة، إذ قتل أثناء فترة الصراع.
- (٢٤) (٣٨٢ - ٣٠١) قائد آخر تزعم التيار المناادي بوجوب إعادة توحيد الامبراطورية تحت زعامته. توحد ضده عدد من القادة المنادين بتقسيم الامبراطورية، وقتل في معركة الملوك في آسية الصغرى عام (٣٠١).
- Tarn, Hellenistic Civilization, p. 284. (٢٥)
- Polybius., XII, 28; cf. Tarn, op cit, p. 284. (٢٦)
- Cambridge Ancient History, vol VII, p. 761. (٢٧)
- (٢٨) حلف دفاعي أسسه عدد من المدن ذات الاصول الآخية (وبعد ذلك غير الآخية) حوالي عام (٢٨٠) تيمناً باسم حلف أقدم منه، للدفاع عن نفسها ضد أطماع مقدونية.
- Polybius., II, 37 - 71; of. books 4 - 5. (٢٩)
- Polybius., III, 20. I - 5; Jacoby, F. Gr. H, 176; Muller, F. H. G, III, 99. (٣٠)
- Polybius., I, 14, 6; XXXVIII, 4, 5. (٣١)
- Cf. Tarn. Hellenistic Civilization, pp. 285 - 6. (٣٢)
- Jacoby. op cit, II A, 87; cf. Tarn, op cit, p. 186. (٣٣)
- (٣٤) (٧٣ - ٤) ملك من ملوك اليهود، حكم ايدومية وأجزاء من فلسطين بدعم من روما. كان ملكاً متهلناً، عارضه اليهود، فاعتمد شرطة سرية للدفاع عن حكمه حتى ضد افراد امرته. Oxford Classical Dictionary. S.V Herod the Great p. 420.
- Jacoby. op cit, II, A 324; O.C.D. s. v. Nicolaos of Damascus. p. 607. (٣٥)
- Tarn. op. cit, pp. 286 - 7. (٣٦)
- Tarn, op cit, p. 287. (٣٧)
- cf. Schnabel. P, Berossos und die babylonisch-hellenistische literatur (1923). (٣٨)
- Muller, F.H.G, II, 495; O.C.D. S.V. Berosus. p.135. (٣٩)

-
- Muller, F.H.G, II, 511; O.C.D. S.V. Manetho. p.533. (٤٠)
- Muller, F.H.G, II, p.384. (٤١)
- O.C.D. S.V. Menander 3, p.557. (٤٢)
- Muller. F.H.G, III, 206-44. (٤٣)
- Mukker, F.H.G, I, 384. (٤٤)
- Jacoby, (Krateros I) in Pauly - Wissowa - Kroll, Real Encyclopädie der classischen (٤٥)
Altertumswissenschaft; cf. Tarn, Antigonus Gonatas (1913); C.A.H, vol VII.
- Athenaeus., 6, 234 d; 10, 436d; 442e. (٤٦)
- O.C.D, S.V. Polemon 3, p.708. (٤٧)
- Diogenes Laertios, 5; O.C.D, S.V. Theophrastus, p.896. (٤٨)
- المؤرخ نفسه الذي تعرضنا له في مقدمة البحث. (٤٩)
- O.C.D, S.V., Chamaeleon, p.183. (٥٠)
- Jacoby. F. Gr. H, II, 225ff; P.W, XXV, 546-63. (٥١)
- Powell. J.V, and Barber. E.A, New Chapters in the History of Greek literature (1921) (1933) vol I, (٥٢)
p.145.
- Tarn, Alexander the Great, vol II, Appendix 18. (٥٣)
- Muller. F.H.G, II, p.302. (٥٤)
- Muller. F.H.G, III, 159 - 66. (٥٥)
- cf. Athenaeus., 3. 88 a; 7, 297 a; O.C.D, S.V., Antigonus, 4, p.58. (٥٦)